الشّيطان يعِظ

خلال تصفّحي لبعض الكتب وقعت أنظاري على مقال لفت انتباهي وجذبني بطريقة غريبة لم أعهدها سابقًا، شعرت بقوّة غريبة تُسيطر عليّ فجأة وبدون سابق إنذار.

كان عنوان هذا المقال: "الشّيطان"، أعوذ بالله من الاسم والمسمّى. هُنا بدأ صراع فِكري ونفسي بيني وبين هذه القوى الغريبة حيث شعرت أنها تحاول لفت انتباهي والسّيطرة على أفكاري.

بدا لي الأمر غريبًا، كما يبدو لكم كذلك الآن. يعني كيف خطر هذا الموضوع على بالي ولماذا؟ الكثير من التساؤلات تعصف بي. لا شكّ أنّ التساؤلات سرعان ما تختفي ليحلّ مكانها شعور من الفضول حول هذه الشّخصيّة المُثيرة والمُخيفة التي طالما عرفناها وجهلناها في آنٍ واحد، فالشّيطان هو كائن خارق للعادة ويُعتبر تجسيدًا للشّرّ في كثير من الثقافات والأديان، وهو ممثل الشّرّ وكل ما ينطوي تحته من أفعال وأفكار في حرب مقدّسة مع قوى الخير وهو يغوي البشر لارتكاب الذنوب والمعاصي بحقّ الله.

وقد نُسب للشّيطان صفات الخيلاء والتّكبّر والعصيان والتّمرد والكراهية والحسد والغِواية، والخبث، والخداع، وغيرها. هل تبدو لكم هذه الصّفات مألوفة؟! ألا نرى هذه الصّفات يوميًا متمثلة في الكثير من أبناء جلدتنا من البشر.

لقد صرّح أفلاطون، قديمًا بأنّ الرّجال الأشرار عندما يموتون يصبحون "شياطين" مُستثنيًا النّساء من الأمر، وممّا يدعم أقواله أنّ كلمة شيطان هي كلمة مذكرة.

تبًا لأفكاري الغريبة! هل وصلت إلى هذا الحد من الملل والضّجر والافتقار إلى الموضوعات حتى لجأت للكتابة عن هذا الموضوع؟! هل لهذا الأمر علاقة بالنّظرية الأدبيّة القديمة والتي اعتاد العرب تداولها والتي تنصّ على أنّ لكل شاعر شيطان يلقّنه الشّعر ويلهمه الأفكار؟ لكني لست شاعرًا. هل أيقظتُ شيطاني بأفكاري هذه؟ لكن ماذا بالنّسبة لشيطان كل واحد منكم؟ ألا تتساءلون عن أحوال شياطينكم أنتم في هذه الأيام؟

آه صحيح الآن تذكّرت لماذا خطر هذا الموضوع ببالي. الحمد لله أنني قد استفقت من غيبوبتي وبدأت أستعيد ذاكرتي وأفكاري حتى خِلت أنني قد بدأت أفقد صوابي.

كم من شيطان صادفتُ في الأيام الأخيرة، شياطين تسير على الأقدام متمثلة بأناس أعرفها وأصادفها يوميًا. هل من المعقول أنّ الشّياطين قد أخذت أدوار البشر أم أنَّ البشر أخذوا ادوارهم. إذا لم يكن الأمر كذلك فما هو تفسير الأعمال الشّيطانيّة التي تسود مجتمعنا والتي تنتشر كالنّار في الهشيم وتزداد يومًا بعد يوم، متمثّلة بالكراهية والحقد والحسد والخبث وغيرها من الصّفات الكريهة.

ألم يرد في الحديث الشّريف: "الحسد شيطان والغضب شيطان"؟ يبدو لي أن تعوّذنا من الشّيطان لم يعد ينفع في أيامنا هذه. حتى ترديد العبارة: "أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم" لم تعد تؤثّر لا في الشّيطان ولا فينا. ألم يرجم الملايين من

الحجّاج الشّيطان في موسم الحج الأخير؟ يا لوقاحته! كيف استطاع أن يتغلّب على هذا الكم الهائل من الشّتم والإساءة، وبمساعدة مَن مِن أعوانه الأوفياء؟

الكثير الكثير من التساؤلات التي أعجز عن الإجابة عنها، لكنني لا أملك إلّا أن أتوجّه إليكم أعزّائي وأصدقائي بقولي ورجائي منكم: (تعالوا كل واحد وواحدة منّا "نضب" شياطيننا)، دعونا نقصيه جانبًا.

هناك مقولة شهيرة تقول: عندما يتجاهلك الشّيطان، فاعلم أنّك تفعل الشيء الغلط، حينها يقول الشّيطان: دعوه وشأنه فهذا الشّخص مقرّب منّي. وعلى العكس من ذلك، عندما يتقرّب الشّيطان منك، فربما يكون السّبب أنك تحاول أن تفعل الشّيء الصّحيح.

هل نستطيع إيقاف شياطيننا دون أن ننهي حديثنا بطرفة:

كانت هنالك قرية تعيش في سلام ووئام، وكان عند الشّيطان ابن بلغ سن الرّشد، فأراد الشّيطان أن يمتحن شيطنة ابنه، وطلب منه أن يستعمل أسهل وسيلة، لإثارة أكبر فتنة في القرية الآمنة.

وما هي إلّا ساعات، حتى نشب خلاف في القرية تطوّر إلى شجار، فعراك، انقسم به أهل القرية فريقين متحاربين، فاستدعى الشّيطان ابنه، وسأله ماذا فعل حتى أثار الفتنة في القرية، قال: "حللت الحبل، وتركت الباقي على أهل القرية".

وأضاف الشّيطان الصّغير، أنه رأى إحدى نساء القرية تحلب بقرة بعدما "مَنّعت" عجلها وربطته جانبًا، فتسلّل الشّيطان الصّغير وحلّ ربطة الحبل، فأفلت العجل وركض ليرضع من ضرع أمه، فقلب سطل الحليب، فغضب زوج المرأة واتّهمها أنّها لم تحكم ربط الحبل جيّدًا حتى أفلت العجل. وضرب الرّجل زوجته، فانتصر لها أخوتها وضربوه، وجاء أخوة الرّجل وأبناء عمّه، واشتبكوا مع أولئك، وما لبثت المعركة أن شملت جميع أبناء القرية.

أحكموا رباط شياطينكم جيّدًا حتى لا يقلبوا السّطل، والله ينجينا من حلّة الحبل.

أحكموا رباط شياطينكم جيّدًا والله ينجينا من حلّة الحبل.

دمتم بكل الخير

أ.أيمن جبارة